

قصة معسكر دراسي

المدر كنور منير طاهر

المدرس بقسم التربية وثقافة النفس

بدأت هذه القصة في إحدى حصص التربية بمعهد التربية بحسي للمعلمين بالاسكندرية عام ١٩٥٣ حيث كان طلبة شعبي "علوم والآداب" يبحثون مشكلة توثيق العلاقة بين المدرسة والبيئة . وقد عبر أحد الطلبة عن هذه المشكلة أصح تعبير حين قال : إن مدارسنا أشبه ما تكون بجزر منعزلة عن عالم المحيط بها بموانع كثيرة ، وكلما يحاول سكان هذه الجزر عبور هذه الموانع للتعرف على ذلك العالم ، وكل ما يذلون من جهد هو أن يقرأوا عنه في الكتب ، فلا عجب إذا خرج الطالب بعد ذلك إلى الحياة العامة وهو لا يعرف عن مشكلات بلاده الاجتماعية والاقتصادية والسياسية إلا ما قد يقرأه عنها في الصحف والمجلات . . . وكان من الطبيعي بعد ذلك أن تدرس وسائل إقامة معابر فوق تلك الهوة الحقيقة التي تفصل مدارسنا عن المجتمع وقادنا البحث إلى مناقشة المعسكرات الدراسية ووسائل الاستفادة منها .

وأخنت أحدثهم عن تلك التجارب الجريئة التي قامت بها بعض مدارس انصرية بقصد توثيق الصلة بين المدرسة والبيئة ، فذكرت لهم عن سبيل المثال معسكر الأورمان الثانوية النموذجية الذي أقامته في مدرسة مسنورس عام ١٩٤٧ ، لدراسة إقضية الفيوم ، وكذلك معسكر معهد المعلمين الابتدائي بأسبوط عام ١٩٤١ لدراسة قرية دريفاء ، ولما كنت قد اشتركت في هذين المعسكرين فقد كان من السبيل علي أن أعطيهم صورة شاملة عنها ، وعن مقدار ما صدف من نجاح .

كان الطلبة يستمعون إلى هذا الأسلوب الجديد في التربية بشغف زائد ، و
أكبر انتهى من حديثي حتى تساءل أحدهم : « لماذا لا نقوم نحن بتنظيم معسكر
دراسي يكون هدفه الأساسي تدريبنا على هذا النوع من الدراسة . حتى
يستطيع كل منا بعد تخرجه أن يطبق الفكرة تطبيقاً صحيحاً مع تلاميذه ؟ » .
وصادفت الفكرة ترحيباً مني ، واستحساناً من الجميع ، وشرعنا نفكر
في تنفيذ .

وفي اليوم التالي قدمت اقتراحات عديدة لبيئات مختلفة تصلح للدراسة .
وبعد مناقشة طويلة ، وقع اختيارنا على « إدكو » نظراً لقربها من الاسكندرية
ولما في بيئتها من تنوع ، ولما كانت تجتازه تلك القرية في ذلك الحين من
وقت عصيب بسبب سوء حالتها الاقتصادية . وضاعف من حماسنا للدراسة
إدكو ، ما نشرته مجلة التحرير في عددها الصادر في ١١ مارس ١٩٥٣ تحت
عنوان « الجوع يحتاج إدكو . ١ » .

الاستعداد للدراسة

وبمجرد اتفاقنا على مكان الدراسة ، قمت بزيارة استكشافية لإدكو ،
وقابلت المختصين هناك ، وعملت الترتيبات اللازمة الخاصة بالإقامة والتغذية
كما أخذنا التصاريح اللازمة لزيارة الأماكن الهامة في المنطقة .

وعقب عودتي قمت بإعداد « دليل للدراسة » وزع على الطلبة . وقد
قصد منه توجيههم إلى أهم مشكلات إدكو ومظاهر الحياة فيها ، دون أن يكون
فيه ما يقيد حرية البحث أو الاكتشاف . وحددنا مدة الدراسة بثلاثة أيام
ووضعنا الخطوط الرئيسية للدراسة ، كما اتفقنا على ما تأخذ معنا من الأدوات
والأجهزة اللازمة لنا في تلك الدراسة .

وفي صليحة يوم الخميس ١٩ مارس تحرك بنا القطار إلى إدكو ، وشرعنا
فور وصولنا في القيام بدراسة القرية التي ألخصها فيما يلي :

في دكو

قام لطلبة بدراسة النواحي الآتية :

أولاً : دراسة مشكلات حفظ موارد الثروة الطبيعية وتنميتها :

الثروة المائية :

يعتبر السمك أهم مورد من موارد ثروة في دكو . وقد درس الطلبة أنواع الأسماك التي تعيش في بحيرة إدكو ، وسألوا الصيادين عن طرق عيدها وتعتبر البحيرة أغنى بحيرات مصر من حيث الثروة المائية . وقد زاروا مصنعة خفر السواحل في إدكو ، واطلعوا على تقاريرها ، وعرفوا أن محصول السمك لسنة ١٩٥١ بلغ ٢٠٠٠ طن تقريباً . أما بعد ذلك فقد قل كثيراً بسبب تجفيف ثلاثة آلاف فدان من البحيرة . وإهمال تضييرها مما أدى إلى تكاثر النباتات والحشائش الضارة بالأسماك .

وقد عرف الطلبة القوانين واللوائح التي تنظم عملية صيد السمك في البحيرة والتي تستهدف حفظ تلك الثروة وتنظيم استهلاكها . ومن هذه القوانين منع الصيد في بؤغاز المعدي (الذي يصل بين البحيرة والبحر الأبيض المتوسط) حيث تربي المصلحة الأسماك الصغيرة (الزريعة) ، كما يحرم على الصيادين استعمال الجوابي . والجوية عبارة عن كيس من السمك له فتحة صغيرة على شكل قمع ، وعيونها ضيقة . فلا يسر منها الصغار من الأسماك . وعرف الطلبة كذلك الغرامات التي توقع على المخالفين لتعليمات مصحة خفر السواحل .

ويقوم الأهالي بصيد السردين الذي يكثر في شهر أغسطس وسبتمبر . ومن الضريف أن الأهالي يهاجرون مع هجرة السردين . فيتبعونه إلى الإسكندرية أو بورسعيد .

وقد أحس صلبة برى استيلاء الأعداء من أحيف جزء كبير من البحيرة
التي تعتبر مصدراً ثرياً بالنسبة لمعظمهم ويطلب الأعداء مصلحة مصاد
الأسماك بإمداد بحيرة بقدر كاف من ذريعة السمك ، مع العمل على إنشاء
مزرعة تربية السمك بجوار هذه البحيرة ، وسرعة تطوير بحيرة من النباتات
والأعشاب التي تعوق عملية الصيد ، وإسباح باستخدام الشباك السلوكية
(الجواني) بسعة معقولة ، وتسعير أدوات الصيد ، وتخفيض الضرائب
المقررة عليهم .

الطيور :

وقد اهتم الطلبة بدراسة طيور المنطقة . وقد أعد رجال خفر السواحل
مركبين شراعيين ، وهبوا لنا جولة في البحيرة . وشاركنا في هذه الجولة
عميد المعهد ، وبعض الأساتذة ولفيف من رجال خفر السواحل .

وقد شاهدنا كثيراً من أنواع الطيور وهي تحلق في الجو ، واصطاد
أحد الصيادين الذي كان يرافقنا بعض تلك الطيور ببندقية . وأخذ الطلبة
يسألون عن أسماء الطيور فعرفوا منها : "فر" ، والخناري ، والشرشير ، وهي
طيور شتوية تصل إلى البحيرة من جنوب وأواسط أوروبا مثل البلقان والمجر
ورومانيا وبولونيا ، وهي ترحل في فصل الخريف سعياً وراء الطعام ، فتدفعها
الرياح إلى الجنوب ، فتعبر البحر الأبيض المتوسط في أسرب ، حتى إذا بدا
لها الشاطئ تهبط منهوكة القوى ، تتغذى بما يتيسر لها من أسماك ونباتات .
وتصاد في أواخر الخريف حتى أواخر الشتاء . أما البقية الباقية التي نجت
بحياتها فتعود إلى بلادها .

وعرف الطلبة أيضاً أن هناك طيوراً صغيرة تسمى من تركيا مثل السمان ،
وتصاد ما بالبنان أو بالقاء نماذج خشبية تشبه طيورهم على سطح الماء ،
فتمشط عليها الطيور ، فيطرح عليها الصيادون شبكهم .

السيرة :

وقام فريق من الطلبة بأخذ عينات من التربة لتحليلها ، كما عرفوا أن الأهالي في إداكو يمتلكون مساحة لا تقل عن عشرة آلاف فدان من الأراضي الرملية الصالحة للزراعة . وقد وضعت الحكومة مشروع إنشاء ترعة لرى تلك الأراضي . وحتى وقت زيارتنا لإداكو ، كانت الأراضي تتعذب لقطرة من مياه تلك التربة المرسومة على الورق .

ملح الطعام :

وفي أثناء تجوالنا ، طالعتنا أكوام بيضاء من الملح ، وشاهدنا الملاحات التي تمتلكها الحكومة ، وتعرضها للاستغلال عن طريق المزارع المحليين . وعدد العمال المشتغلين في الملاحات حوالي ١٥٠ عاملاً . ولا ينتج هذا الملح النقية الكافية نظراً لبعدها عن محطة تكرير بالمكس ، وكثرة النفقات التي يتكفلها لو نقل إلى محطة التكرير . ويستعمل الأهالي الأنواع النظيفة منه في "لصعام" . غير أن رجال "صحّة" أثبتوا عدم نقائه . وتستخدم الأنواع الرديئة منه في دبح الجلود ، وضرب الأرز ، وصناعة الثلج .

أماكن الترفيه :

الجزء المقابل لإداكو من ساحل البحر الأبيض رمي ومنخفض وعريض ، ويصلح بذلك لأن يكون مصيفاً ممتازاً ، ولا ينتقصه إلا شق طريق مرصوف يصل البلدة بالساحل ، حتى ييسر الوصول إلى المصيف . كما ينبغي إنشاء بعض الأكشاك الخشبية على طول الساحل . وبذلك يمكن تنشيط حركة الاصطياف به في فصل الصيف ، ويصير مورداً هاماً من موارد البلدة .

ثانياً : دراسة مشكلات تنمية الإنتاج الزراعي والحيواني والصناعي :

درس الطلبة النباتات التي تزرع في إدكو ، وعرفوا أن معظمها يعتمد على مياه الأمطار التي تسقط شتاء . ففي الأراضي الرملية الواقعة بين بلدة وشاطئ البحر ، نجد النخيل والعنب والتين والطماطم والبطيخ . ويعيش الأهالي في أكواخ مصنوعة من البوص لحراسة هذه المزارعات حتى إذا فضجت قاموا ببيعها أو تصديرها إلى المناطق المجاورة .

وليس في إدكو فلاح بالمعنى المفهوم ، أي يعتمد كل الاعتماد على الزراعة ، وذلك لأن الزراعة تتطلب رأس مال ينوء به الفقراء . أما الميسورون من أهالي إدكو فقد اشتروا أرضاً زراعية بحجمه البوصيلي التي تبعد ١٤ كيلومتراً عن إدكو .

وأهم الحيوانات المستخدمة في إدكو هي : الخمر والجمال وبعض الخيول وتعنى النساء بتربية الدواجن على اختلاف أنواعها ، وقد كتب أحد الطلبة في مذكراته كثيراً ما رأينا ونحن نزرع شوارع إدكو ، تلك المخلوقات اللطيفة تمرح في هدوء ودعة . وتكاد تسد علينا الطريق ، ولشد ما تعجبنا كيف يميز الأهالي دجاجهم ، وقد اختلط بدجاج الجيران . وكثرة الدجاج يفسر لنا توافر البيض ، ورخصه نوعاً ما ، ولذا يصدر البيض إلى الإسكندرية .

أما الصناعة فكاد تنحصر في دائرة ضيقة هي صناعة النسيج اليدوي . وهي مهددة بالانقراض ، وذلك بسبب منافسة شركات النسيج الميكانيكي لها . ولقد ازدهرت صناعة النسيج اليدوي بمصر ازدهاراً كبيراً خلال الحرب العالمية الأخيرة . ولكن ما كادت الحرب تضع أوزارها حتى أهملت بسبب منافسة صناعة النسيج الميكانيكي لها .

وقد سأل بعض الطلبة عن دخل الناج ، فعرفوا أن ما ينسجه الرجل

في اليوم الواحد يقدر بحوالي خمسة أمتار . يكسب فيه عشرة قروش فقط !
ويطالب الأهالي بإنشاء شركة لصناعة الغزل والنسيج الميكانيكي بإدكو .
كما يطالبون الحكومة بتوصيل التيار الكهربائي إلى إدكو من إحدى محطتي
تصريف الكهرباء بالبوصيلي أو بخلق الجبل ، وكلتا المحطتين . لا تبعدان عن
إدكو بأكثر من عشرة كيلومترات . وعندئذ تكون العقدة الكبرى في سبيل
إنشاء مصنع كبير للنسيج الميكانيكي قد حلت .

وفي أثناء مناقشة وسائل تنمية الإنتاج في إدكو اقترح الطلبة ما يلي :

١ - إنشاء معمل تفريخ نظراً لكثرة البيض في إدكو .

٢ - إنشاء مصنع للثلج لأن الصيادين يلقون صعوبة في الحصول على
الثلج الذي يرد إليهم من الإسكندرية ورشيد ، وقد يسبب تأخر وصوله إليهم
تعضن السمك الذي يصطادونه .

٣ - إدخال صناعة صلصة الطماطم نظراً لتوافر الطماطم هناك .

٤ - إدخال صناعة السمك المحفوظ والمملح .

ثالثاً : دراسة مشكلات استغلال الموارد البشرية :

لا شك أن الأطفال والشبان والرجال والنساء هم أهم مورد من موارد
المجتمع . ومن الواجب العناية بتنمية قدرات ومواهب كل فرد إلى أقصى
حد ، لكي يستخدمها في نفع نفسه ورفع شأن المجتمع . ولن يتيسر لنا ذلك
إلا إذا قضينا على العوامل التي تعوق الارتفاع بالموارد البشرية مثل : الجهل
والفقر والمرض والإجرام والتعرض للحوادث . وقد قام الطلبة بدراسة
هذه العوامل .

التعليم :

قام الطلبة بزيارة مدرسة إدكو الابتدائية الثانوية ، ونفت نظرم أن

التعليم في تراث المدرسة مختلط . نظر لعدم وجود مدرسة ثانوية للبنات . وقد أجمع القائمون على شؤون المدرسة على نجاح التعليم المختلط . وقد شكوا المدرسون من قلة المساكن المتاحة في إدكو . الأمر الذي يضطرهم للسكن خارج إدكو ، ولذلك يعانون مشقة الانتقال يومياً إلى المدرسة . كما زار الطلبة المدارس الأخرى مثل : مدرسة دار السلام الابتدائية ، ومدرسة الشعب ، ومدرسة روضة أطفال إدكو . ومدرسة رقي فتاة .

والمدارس عاجزة عن استيعاب جميع التلاميذ من أبناء إدكو ، إذ أن عدد التلاميذ في عام ١٩٥٤ قد بلغ ١٥٠٠ طفلاً وطفلة ، مع أن عدد الأماكن لا يتسع لأكثر من ٢٥٠ طفلاً في العام .

واقبال الشعب على قراءة الصحف والمجلات ضعيف ، ويفضل أغلبية الشعب قراءة المجلات الدينية . ولا يستمع الأهالي للإذاعة لقلة عدد أجهزة الراديو في البلدة .

أما من حيث مناهج الدراسة فهي لا تختلف عن نظيراتها في أي بيئة أخرى ، فليس فيما يدرسه التلاميذ في إدكو أي صدى لمشكلات البيئة وحاجاتها . أما كان ينبغي أن يتضمن المنهج مثلاً مشكلة تنمية موارد الثروة الطبيعية وعلى الأخص الثروة المائية ؟ ومشكلة استصلاح الأراضي الرملية البور الواسعة وتوصيل مياه النيل إليها ؟ ومشكلة زيادة الإنتاج المحلي ؟ ومشكلة تحديد النسل المتزايد ؟ . ثم لماذا لا يتعلم التلاميذ بعض الصناعات الريفية الملائمة للبيئة المحلية مثل تجفيف البلح وتعليق الأسماك وحفظها ، وصناعة الأقفاص والأسرة والمقاعد من جريد النخل المنتشر في إدكو ؟ ثم صناعة النسيج والسجاد ؟ . لماذا لا يتعلم التلاميذ فنون الزراعة الصحيحة سيما وأن الأهالي مقبلون على حياة جديدة أساسها الزراعة بعد تجفيف جزء كبير من البحيرة ؟ ثم ماذا أعد لتعليم الفتيات اللاتي يبلغ عددهن حوالي ستائة طالبة ، وأكثرهن لا يواصلن تعليم الثانوي لأنهن يتزوجن مبكرات ؟ أما كان من الأفضل إعداد

دراسات خاصة لمن تؤهلهم لاصطلاح بحيتين الزوجية المقبلة ، قسمهم المدرسة بذلك في إعداد الآله المستيرة ؟ . لا يجدر بنا أن نحول إحدى مدارس إدكو إلى مدرسة للقرية (Community School) تكون عاملا فعلا لإنهاض القرية ؟ . لاشك أن كل تعليم لا يساعد الأفراد على سد حاجاتهم ولا يدرهم عن استغلال كل الإمكانيات التي توجد في البيئة التي يعيشون فيها ، هو تعليم قاصر إلى حد بعيد .

الصحة :

فتنا بزيارة المستشفى الذي يشغل مبنى غير لائق . ويقوم بالخدمة فيه طبيب واحد يشرف على الناحية الوقائية والعلاجية معاً ، إلى جانب إشرافه على مركز رعاية الطفل والإسعاف ، كما يقوم بعمل الصيدلى وطبيعى أنه لا يستطيع أن يؤدي واجبه على الوجه الأكمل في ظل هذه الظروف .
- ويتراوح عدد المترددين على المستشفى يوميا من ٣٠٠ : ٣٥٠ مريضا . ويعاون الطبيب ٧ من التمريضة ، ومرضتان ، وثلاث مولدات .
وتوجد بالبلدة عربية إسعاف واحدة في حانة غير مرضية . ويوجد بجانب المستشفى حمام شعبي يستخدمه الرجال فقط .

وقد بلغ عدد المواليد ١٦٨٦ طفلا في عام ١٩٥٢ بنسبة ٤٤ في الألف ، بينما بلغت نسبة الوفيات في السنة نفسها ١٣ في الألف .

والعمل جار لبناء مبنى جديد للوحدة الصحية على قطعة من الأرض موازية لخط السكة الحديد ، ولكن ظهر به خلل نتيجة لعدم صلاحية الأرض لبناء لتسببها ببناء .

وزار الدارسون محطة مكافحة الملاريا التي أُنشئت عام ١٩٣٩ ، وعرفوا قصة إنشائها وكفاحها المضني المستمر في القضاء على بعوض الملاريا هنالك . وشوارع إدكو غير مرصوفة ، ولذا لا يمكن تنظيفها النظافة الواجبة .

وأغلب المساكن غير صحية . وتنتشر أمراض سوء التغذية بين الأهالي نظراً للمستوى المنخفض الذى يعيشون عليه . وتفتقر البلدة إلى متزهات . كما أن معظم الأهالي لا يمارسون الألعاب الرياضية .

الامن :

زرنا نقطة البوليس ، ويرأسها يوزباشى . وتمتاز إذكو باستباب الامن فيها . ومعظم الخلافات التى تقع عبارة عن مشاجرات بين الأهالي تنشأ عن خلافات على العمل أو الممتلكات أو المناصب . أما جرائم القتل فتكاد تكون معدومة ، كما أن حوادث السرقة قليلة .

وقد اطلعنا على إحصائية الحوادث عن عام ١٩٥٢ فوجدنا أنها تشمل ٤٥٠ جنحة ، منها أربع جنح مخدرات ، وخمسة مخافة صيد .

البطالة :

العمل الرئيسى للسكان هو صيد السمك . وقد حدثنا الأهالي عن الكساد الذى يلقونه فى الوقت الحاضر ، حديثاً كله ألم وأسف وحسرة ، فقد كان لتجفيف مساحة واسعة من البحيرة المواجهة لإدكو أثر كبير فى هذا الكساد . ويوازن الأهالي بين النفع الذى عاد عليهم من تجفيف هذا الجزء من البحيرة من حيث هبوط نسبة الإصابات بالمalaria ، وبين ماجره عليهم من تعطل وفقر وكساد ، فلا يجدون أية فائدة من التجفيف . وحتى تلك المساحة المجففة لم يستغل الجزء الأكبر منها حتى الآن فى الزراعة .

أما صناعة النسيج فليس حظها أحسن من حظ مهنة صيد السمك ، فبعد أن كان هنالك ١٠٠٠٠٠ عامل نسيج يعملون بالبلدة ، لا يشتغل منهم الآن سوى مائة عامل فقط ، والباقي إما متعطل بالبلدة : أو مشرد خارجها نتيجة لكساد هذه الصناعة بعد انتشار صناعة النسيج الميكانيكية وإغراقها السوق بمنتجاتها .

ويشتغل فريق من الأهالي بتجفيف لبح وصناعة العجوة . وسكنها صناعة بدائية . ومن الممكن توسع فيه . واستيعاب مزيد من الأيدي العاملة . وذلك بالإكثار من زراعة النخيل ، وصناعة العجوة على نطاق واسع بطريقة صحيحة ، وتصديرها إلى المدن الأخرى .

وعدد المشتغلين بالزراعة قليل ، ولكن من الممكن التوسع في زراعة لوشقت ترعة من النيل لتصله بإدكو ، حيث يصير من الممكن زراعة جميع الأراضي المجففة من البحيرة . إلى جانب الأراضي غير المزروعة حالياً في إدكو وأطراف المدينة . وبذلك تستوعب الزراعة عدداً لا بأس به من الأيدي العاملة .

رابعاً : دراسة مشكلات اتصال إدكو بالبلاد الأخرى :

ترتبط إدكو بالاسكندرية بخط حديدي فردي . ويمتد إلى مدينة رشيد التاريخية . ولهذا الخط أهميته التجارية لأنه يعتبر الشريان الهام الذي تصب عن طريقه كميات هائلة من الأسماك ، وأم الحول والجمبرى في مدينة الاسكندرية . كما يقوم هذا الخط بنقل المنسوجات التي تقوم بصناعتها المناسج اليدوية في إدكو ، وكذلك البلح و"قنواكه" مثل البطيخ والليمون . كما أن هنالك طريقاً مرصوفاً يمتد من الاسكندرية حتى رشيد ويمر بإدكو وتسير فيه السيارات .

وهناك خط تليفوني يمتد إلى إدكو ويستعمل غالباً لأغراض تجارية . كما أن بإدكو مكتب للتلفون يزاد تصفط عنه في المواسم التجارية .

خامساً : دراسة الحياة الاجتماعية في إدكو :

درس الطبقة أعمال السكان ونظام الأسرة . وما يسترعى النظر ذلك التعاون الوثيق بين الرجل وزوجته في كسب العيش . فالرجل يضرب في البحر أو البحيرة أو في كيهما ، والمرأة تظل بالمنزل تصفر الخوص لعمل

المقاصف ، أو تغزل الحرير . أو تصنع الشباك ، وتصنع العجوة . وترى الدواجن ، وتقوم بما يتطلبه المنزل من أعمال . أما الفتاة الإداكوية فإنها دقوب ، تعمل طول اليوم في تطريز الملابس ونسج الشباك وتجميل أطراف الشيلان الحربية بعقد مجبوكة دقيقة . وتجر في البيض والعجوة والدواجن وتوفر ماتكسبه لتساعد والديها في تجهيزها للزواج .

كما درس الطلبة ملابس الرجال والسيدات صيفاً وشتاء ، وطعامهم ، وعاداتهم ، وأهم ما يميز الأداكويين الدأب على العمل . والتبكير في الاستيقاظ والاقتصاد . وكل ذلك ناتج من أن الضيعة هنالك بخلة بخيراتها ، وهذا مما يدعوهم إلى السعى وراء الرزق بجهد ومثابرة .

والدين يملأ نفوسهم ، لأنهم من البحر يزقون ، فصيهم من الحياة ليس مضموناً ، فزاهم يقومون يومياً مبكرين حاملين شباكهم ومتجهين إلى السماء داعين أن يرجعوا وأيديهم مملأى بالرزق الحلال . وما دام للدين هذه القوة في نفوسهم فإن الزواج يتم في سن مبكرة ، فلا يكاد المراهق يستقبل شبابه حتى يحدد عروسه تزف إليه . وترتب على ذلك عدم وجود أمراض عصبية ناشئة عن الكبت ، وكذلك انعدام الأمراض السرية .

سادساً : أدب من وحى البيئة :

جمع الطلبة كثيراً من الأغاني والأمثال المنتشرة بين الأهالي . ودرسوا مدى تأثيرها بالبيئة المحلية .

وهذا مقطع من أغنية أداكوية . تنس فيها أثر البيئة الطبيعية :

ما حد خالي من أهم حتى قنوع المراكب
ما نقواش للسند باعم ولو كان على السرج راكب

وأمثال الأهالي هذه تعبر تعبيراً صادقاً عن أثر البيئة في حياتهم . وهذه بعض أمثالهم :

« فلان رى المدفع تصدىق لا ياحيد لا يدى ، ومصدر هذا المش
المدافع القديمة المعطلة الموجودة على ساحل البحر .
« نحضر المقالى والسك فى البحر ،

« كل بركة ولها بلاشون ، . ومعى المثل . كل بيته سكانها .

« الى ما يعرف ما فى عقول صيده لا يستصيح صيده ، كناية عن ضرورة
الوثوق من طوية الغريم قبل التغلب عليه .

والآن قد وصلنا إلى خاتمة المخطى يحد لنا أن نتسامل عما أتقده الطلبة
من هذه الدراسة . الواقع أن هذه الدراسة — على الرغم من قصرها
وقصورها — قد حققت كثيراً من الأهداف التربوية . بل لعل لا أبالغ إذا
قلت إن الطلبة تعلموا فى ثلاثة أيام ما تعلمهم لا يستطيعون تعلمه فى شهور .
فلقد أتاحت لهم هذه الدراسة فرصة طيبة لتعلم طرق البحث والاكتشاف
والاتصال المباشر بالبيئة . بكل ما فيها ومن فيها . وتدريبوا على المشاهدة المنظمة
والمناقشة ، وتحرى الدقة فى جمع البيانات . وطرق معاملة الناس ، وأهمية
تسجيل النتائج وتنظيمها ، والاهتمام بتشكلات الغير ، والسعى لرفع مستوى
البيئة المحلية . . كل ذلك بطريقة عمية منتجة . كما سادت بينهم خلال هذه
الدراسة وبمدها روح تعاونية عالية . فآثروا على بحث المشكلات والتفكير
فى حلها .

وفى هذه الدراسة المتشعبة الشاملة . علاقت الحواجز الصناعية التى تفصل
عناصر المعرفة الإنسانية مضمناً عن مضم . ويسار كل طالب يبحث المشكلة
التي تقابله من جميع نواحيها ، لا يسهى فى ذلك . كأن بعض مظاهرها يدخل
فى نطاق مادة تخصصه أو لا يدخل . وذلك تعبر ضرورة النظر إلى المشكلات
من زواياها المختلفة .

وقد نأحت في هذه الدراسة فرصة فريدة لتعرف على الطلبة في جو طبيعي لا تكلف فيه ، وتوثقت بيننا أواصر الصداقة ، كما كانت فرصة لكشف كثير من مواهب الطلبة وقدراتهم وبخاصة في فترات السراشي عقدت في المساء .

وقد قام بعض الطلبة بعد عودتهم بإنشاء متحف بسيط يضم ما اصطادوا من طيور إداكو . وما أحضروه من أسماكها ، وما جمعوه من أصنافها وأحجارها وترتيبها ونباتاتها وأملأوها .

ولشد ما سرتني أني لاحظت تغيراً محسوساً في سلوك الطلبة خلال فترة التمرين العملي الشغل الذي جاء عقب العودة من المعسكر . فقد قام كثير منهم برحلات وزيارات مع تلاميذهم في المدارس التي كانوا يمترون فيها ، وكان أغلبهم يقوم بإعداد دليل للدراسة أو الرحلة ، وبذلك سرت فيهم روح الجرأة والإقدام بعد ما كانوا يتهيبون القيام بمثل هذا النشاط .

وبعد ، فهذه التجربة البسيطة زادتني إيماناً بفائدة المعسكرات الدراسية ، وبضرورة إدخالها ضمن برامج إعداد المعلمين والمعلمات . فالمدرس غالباً ما يتبع في تدريسه نفس الأسلوب الذي تعلم به ، وليس الأسلوب الذي قرأ عنه في الكتب . أو استمع إليه في المحاضرات .